بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 45 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:24\05\2023 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال الكلام في إعراب كلمة ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ واتضحت لنا الوجوه المذكورة في المقام، واستبعدنا وجهين من تلك الوجوه الأربعة.

الآلوسي في تفسيره يتبنى القول المشهور، وهو أن ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال، ويحاول أن يبرهن عليه، فيقول أن الباري تبارك وتعالى خص الجزاء بتلك الحالة - حالة كونهم متكئين- لأجل كونها أتم حالات المتنعم، ولا يضر بذلك قوله ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ لأن هذا الصبر كان في الدنيا، والتنعم في الآخرة.

فلا مانع من أن الله سبحانه وتعالى يجازيهم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ في تمام أحوالهم، لكن كان الآية تريد أن تعطي المرتبة العليا من المجازاة، هذه المرتبة العليا من المجازاة أن يجازيهم في أتم حالات تنعمهم، وهو حالة الاسترخاء والراحة، لا أنه يجازيهم وهم ينتظرون في عرصات يوم القيامة حتى كل واحد يذهب إلى مستقره، وفي ذلك إلى علو مرتبة هؤلاء الأبرار الذي السورة تتكلم عنهم.

هذا البيان من قبل الآلوسي ينفع ويصح فيما لو فرغنا عن أصل جواز إعراب ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حالاً، فحينئذ يأتي السؤال: لماذا خص المجازاة في هذه الحالة؟ فحينئذ يصح كلام الآلوسي.

ولكن قدمت -في الدرس السابق- أن إعرابها حالاً لا يصح. فإذاً هذا التعليل وهذا التبرير الذي أتى به إنما هو تبرير وتعليل في رتبة متأخرة عن الفراغ عن كونها حالاً. ويصح أن نقول حينئذ لماذا الله سبحانه وتعالى خص مجازاتهم بهذه الحالة؟ فيأتي كلامه. أما الإشكال كان قائماً في أصل إعرابها حالاً، فما ذكره الآلوسي لا ينفع لإنقاذ هذا الوجه.

فحينئذ يبقى الأمر دائراً بين النصب على القطع وبين النعت.

بالنسبة للآيات المشابهة -الآية في سورة الكهف والآية في سورة ص- بالنسبة للآية الكهف الخلاف الموجود هنا يأتي فيها، وبالنسبة لآية سورة ص هناك المشهور التزموا بكونها حالاً، ولكن من دون أي محذور الذي ذكرته في الدرس السابق؛ لأنهم قالوا ﴿مُتَّكِئينَ فيها [جنة عدن] يَدْعُونَ فيها بِفاكِهَةٍ كَثيرَةٍ وَشَراب﴾ فـ ﴿مُتَّكِئين﴾ من الأحوال التي تأخر عنها عاملها، الحال مثل المفعول به، كما أن المفعول به يجوز ويتقبل أن يتأخر العامل كما يجوز أن يتقدم، الحال كذلك، أي هؤلاء يدعون فيها بفاكهة وشراب في حالة كونهم ﴿مُتَّكِئين﴾. ففي سورة صد لا مانع من إعرابها حالاً؛ لأن هذه متعلقة بعامل يكون بعد استقرارهم في الجنة.

بخلاف الآية التي نبحث عنها، فلا يمكن أن يجازيهم بالجنة في حالة كونهم ﴿مُتَّكِئين﴾ في الجنة، لما عرفت من أن الحال يقيد العامل.

أما في سورة ص بعد استقرارهم في الجنة، وهم في حالة اتكاء، يدعون بفاكهة وشراب، والمعنى الصحيح لا غبار عليه.

إذاً الآيات المشابهة لا تنفع لتعيين المطلب فيما نحن فيه.

وفقاً للقاعدة أن النصب على القطع بحاجة إلى تقدير ناصب، وهذا الناصب إذا لم يكن واضحاً عرفاً لا بد من تكلف تقديره، مثلاً يمكن في صورة الذم والمدح أن تقدر فعلاً، تقول أذم زيداً أو أمدح زيداً، هذا إذا كان السياق سياق ذم أو مدح.

أما النصب على القطع مطلقاً إذا لم يكن قرينة واضحة تعين المحذوف، فهذا يحتاج إلى نوع من التكلف. بخلاف الإعراب بالنعتية. غاية الأمر في الإعراب النعت يأتي البصري، أنه لابد من إبراز الضمير، وإن أُمن اللبس. هذا لا نقول به؛ لأنه ديدن اللغة العربية قائم على التمييز بين صورة أمن اللبس وصورة عدم أمن اللبس.

مثلاً في جملة من الموارد يقولون كما مسألة الجر بالمجاورة، جحر ضبٍ خربٍ، فالذي يتصف بالخراب بيت الضب وهو الجحر، فهنا يؤمن اللبس فجاز الجر بالمجاورة. أما في المورد الذي لا يؤمن اللبس، أي هذا المجرور بالمجاورة ويمكن أن يكون مجرور بالمجاورة ويمكن أن يكون على أصله،

فيختلف المعنى، فيقولون لا يجوز الجر بالمجاورة، كما في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ على قراءة الكسر في أرجلكم، فالتزم مثل الفخر الرازي وجماعة من أكابر السنة أنه لا يجوز الجر بالمجاورة. طبعاً نحن عندنا إشكالات أخرى، لكن من باب تقريب الفكرة.

مثلاً يجوز تقديم المفعول على الفاعل، واستثنوا من ذلك صورة الالتباس ضرب موسى عيسى، فقالوا ينبغي أن تلتزم بأن موسى هو الفاعل وعيسى هو المفعول، ولم يضعوا كلا الصورتين في سلة واحدة.

فديدن قواعد اللغة العربية وديدن عمل العرب قائم على التفريق بين صورتي الالتباس والأمن. فحينئذ مسألة إعراب هذه الكلمة نعتاً هي الأوجه بقواعد اللغة العربية.

هذا تمام الكلام فيما يرتبط بإعراب هذه الكلمة.

من جملة الأمور التي يمكن أن نتناولها في هذه الآية المباركة أن الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة بيّن المجازاة على وجه الإجمال ﴿جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ هذه الجنة ماذا يوجد فيها فلم يذكر ذلك، وهذا الحرير للباس أو للفرش وكيف يستفاد منه لم يذكر، وبماذا يزين لم يذكر، فحينئذ تعتبر الآية السابقة مع ما تلاها من الآيات ومن جملتها آية البحث، من مصاديق التفصيل بعد الإجمال، البيان بعد الإبهام، الذي هو من أساليب الإطناب عند العرب؛ لغرض تأكيد الفكرة في الذهن والحث عليها، ففي البداية أجمل ثم فصّل. كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ثم يفصل الإمداد ويقول: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾[2] هذا من موارد التفصيل بعد الإجمال والتوضيح بعد الإبهام، وهذا يركز المطلب في الذهن؛ لأنه عندما يذكر لك الشيء مبهماً تتوجه النفس لمعرفته تفصيله، عندما يقول أيها العرب من اتصف بصفات الأبرار له جنة فالكل تشرئب أعناقهم لمعرفة مواصفات هذه الجنة، ولذا يقولون ما يأتي بعد ذلك يكون من الحاصل بعد الطلب، والحاصل بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب.

العرب الذين بحسب الفرض نزل القرآن الكريم بلغتهم وفي ديارهم، يعيشون في صحراء قاحلة، هذه البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم، جرداء، قل من يستريح فيها بظل، وحال طقسها بين حر شديد تقف

---

[1] الشعراء: 132
[2] الشعراء: 133

عنده الأنفاس، وبرد قارص تصك عنده الأسنان، في هذه الحالة أعطاهم هذا المؤثر النفسي، فقال الأبرار في جنة وصفها ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً﴾ بما تمثل الشمس من شدة حرارة وبما يمثل الزمهرير من شدة البرد. فأعطاهم هذا المؤثر النفسي ليجذبهم إليه.

هذا ما نلاحظه في آيات متعددة من القرآن الكريم، يعطي المجازاة بحسب حال المخاطبين، ولكن في الواقع كما بحثت ذلك سابقاً قبل عدة جلسات، أن هذه الأمور مجرد تقريب إلى الذهن، وإلا الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر.

فجاءت هذه الأمور الثلاثة المذكورة في الآية، فهم يستريحون على الأرائك ولا يعانون من أشعة الشمس ومن الحرارة؛ لكون القبة التي تحيط بالأرائك تمنع عن وصول أشعة الشمس إليهم، ولا تؤثر فيهم الرياح والبرد، وما شابه ذلك.

كلمة ﴿الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، في فقه اللغة كان يوجد قبة وبيت مزين وخيمة مزينة كما تزين للعريس، إن لم يكن فيها سرير قد فرش بعد تسمى حَجَلة، وإن فرش فيها السرير تسمى أريكة، وهذا يتناسب مع الجذر اللغوي للكلمة.

فإذاً هؤلاء على أسرة في داخل قبة يتكئون ويستريحون، فمسكنهم في الجنة هذه هي صفته، وهذا أنسب مع إعرابها نعتاً، هم في حالة تنعم واستراحة في قبة تحجبهم عن أشعة الشمس وعن البرد والصقيع.

لكن النكتة التي ينبغي أن نقف عندها في هذه الآية، أنه هل تدل هذه الآية على أنه في الجنة لا يوجد شمس ولا يوجد زمهرير أو يوجد شمس وزمهرير لكنهم لا يتضررون بحرارتها وصقيعها لكونهم يوجد ما يمنع عن ذلك، وهي كونهم في داخل تلك القبلة؟

في الواقع مع قطع النظر عن الروايات والأدلة الأخرى، الآية تصلح لكلا الأمرين، أي ممكن أن يكون في الجنة الشمس وزمهرير، ولكن لا يتضررون من ذلك لكونهم في هذا المكان المغلق والمكيف وما شابه ذلك. ويمكن أن يكون لا يتضررون من ذلك من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فلا يوجد شمس ولا زمهرير. فمن الآية لا نستطيع أن نعين أحد هذين الموردين.

لكن وجدت رواية نقلها الشيخ الصدوق ﵀ في الأمالي عن ابن عباس، يقول: (فَبَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّة فِي الْجَنَّة إِذْ رَأَوْا مِثْلَ الشَّمْس قَدْ أَشْرَقَتْ لَهَا الْجِنَانُ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّة: يَا رَبِّ إِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ: ﴿لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً﴾ فَيُرْسِلُ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ إِلَيْهِمْ جَبْرَئِيلَ، فَيَقُولُ: لَيْسَ هَذه بِشَمْس، وَلَكِنَّ عَلِيّاً وَفَاطِمَة ضَحِكَا فَأَشْرَقَتِ الْجِنَانُ مِنْ نُورِ ضَحِكِهِمَا، وَنَزَلَتْ هَلْ أَتَى فِيهِمْ إِلَى قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[3].

فببركة هذه الرواية يمكن أن يؤيد أنه في الجنة فعلا لا يوجد شمس ولا يوجد زمهرير، وإنما يوجد شيء آخر؛ وإنما يسمى شمس من باب الأثر وترتيب الآثار، وهذا بحث آخر.

[3] الأمالي(للصدوق)، النص، ص: 257، محل الشاهد في صفحة: 261.